اورده الامام حجة الاسلام الغزالي في الرد على الذين يدعون ان نزول البلاء بأعدائهم يكون انتقاماً لهم على سبيل الكرامة من ان الذين كانوا يؤذون الانبياء ويقتلونهم ما كان يحل بأشخاصهم البلاء والعذاب فهل كان هؤلاء الاشقياء او الصلحاء اكرم عند الله من الانبياء (سبحانك هذا بهتان عظيم) ومما يقضي بالعجب ان مسئلة التصرف في الكون

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

يدعيها الدجال المسترسل في الفجور الذي اغواه الشيطان بشهادة الفساق أو الكفار له بالقطبية والغوثية من مراتب الولاية لينالوا منه مالاً او جاهاً وحسب العاقل هذا في النفور عن اهل هذه الدعوى وتكذيبهم فكيف والوجود يكذبهم والشواهد التي اشرنا اليها تفند مزاعمهم وفوق ذلك كله كتاب الله يخاطب نبي الله ارشاداً لعباد الله بمثل قوله (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً) وقوله (قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشداً) نعم ان الدجالين قد جعلوا مسئلة التصرف من باب كرامة الله لاوليائه وسيأتي الكلام على الكرامات ان شاء الله تعالى

استنهاض همم

(٣)

قال قائل من مستمعي حديثي واذا تخاذلت والعياذ بالله تلك الحكومات وتباطأت عن الشروع في تأسيس هذه الوحدة ووضع مقدمات الاصلاح وأخفق سعي عقلاء الامة العاملين على النهضة الساعين في تنبيه الافكار وتنوير الاذهان كيف تكون النتيجة والام تؤول حال المسلمين والى أي

منقلب ينقلبون وهل يسلم لواحدة من تلك الحكومات استقلالها أم يعجز كل منها عن الدفاع ويسقط بين يدي العدو ؟ ؟ هذا السؤال هو الذي حملنا على وضع هذه المقالة كما المعنا الى ذلك في فاتحتها ونقول في الجواب بالاجمال ان عاقبة تفريط المسلمين في لم شعثهم وافراطهم في لهوهم وغفلتهم وثاقلهم على مداركة الخلل الساري في شؤونهم سقوط حكوماتهم بين أيدي الامم الغربية شيئاً فشيئاً ثم تقلص ظل شعائرهم وشرائعهم عن وجه البسيطة حالا فحالاً . ولا اخالك الا راغباً في تقصي الاحوال غير مجتزيء بهذا الاجمال لما انه قلما يجهله الامن ران على قلبه وطمست عين بصيرته

(المسألة الشرقية) وكل احد على شيء من العلم بالمسئلة الشرقية . هي اقتسام دول الغرب لحكومات الشرق . مامنشؤها ؟ هو ذلك الينبوع الذي انبثق في ربوع الحجاز ثم تعاظم مده وطما سيله حتى غمر معظم الاصقاع الشرقية في آسيا وافريقيا وتنفست أمواجه على السواحل الجنوبية من قارة أوربا وتدرجت رويداً رويداً حتى كادت تصافح امواج البحر الشمالي لولم يقف شارل مارتل (ملك فرنسا) في وجهه ويعترض جريته فقل سورته وعرامه وارجمه ادراجه

ماغرض ساسة أوربا من المسئلة الشرقية وما الذي حملهم على التداخل في خويصة الشرق وشؤونه وأي عذر لهم في اقتسامه واستباحة التهامه ؟ يزعمون ان شعوب الشرق سلوبوا الخلال التي ترشحهم للمدنية فاقدوا المزايا التي تؤهلهم لتكوين أمة ذات حضارة وعمران على نسق حضارة أوربا وعمرانها . عامتهم جهلاء لا المام لهم بشيء مما توقف عليه راحة الانسان وانتظام معيشته الصحية والادبية اذلاء مستعبدون لحكامهم لا يعرفون كيف

يطالبون بحقوقهم ولا كيف يلزمون حكامهم حدود العدل والانصاف عمالهم على جهل تام بامور الادارة الداخلية وكيفية ارتباطها بسياسة الامة الخارجية لايعلمون الواجب عليهم ليقفوا عنده ولا يحفلون بالحقوق ليبذلوها الى اصحابها . معظم همهم في مخالسة رشا (جمع رشوة) أو مجالسة رشا امراؤهم لاهون وعن النصيحة معرضون لايهمهم صلاح رعيتهم ولا يبالون بشقوتهم ولا يصيخون لشكيتهم يتفننون في ابتداع الاساليب لابتزاز اموال الرعايا وانفاقها في ضروب ملاذهم وشهواتهم سعادة احدهم في مراوحته بين الافتراش والاكتراش . وبالجملة ان حكام الشرق وامراءه استذلوا رعاياهم وتهضموهم وبخسوهم حقوقهم وتلاعبوا بهم كما تتلاعب الزعازع بالنباتات الغضة والغصون اللينة

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها * فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

وتدعي دول الغرب ان ابقاء اهل الشرق على هذه البيئة السيئة والشؤون البهيمية وتركهم وتعاليمهم المختلة وآدابهم المعتلة وحكمهم الظالم واستبدادهم الغاشم جناية على الانسانية وضربة قاضية على المزايا البشرية واخلال بتعاليم الشريعة الادبية وان الواجب والضمير يأمران أولئك الدول بالدمور (٢) على اهالي الشرق والاستيلاء عليهم شاؤا أو أبوا ثم ان كان الشرقيون عاجزين عن ادارة بلادهم الداخلية قصروا ايديهم عنها وتناولوها منهم وكان استمرار أصرفا والا خلوا بينهم وبينها واستبدوا بسياسة البلاد الخارجية ومصالحها العمومية الكبرى وسموا ذلك حماية . ويموهون بان هذا الحجر انما هو موقت بزمن عجز المحجورين وقصورهم حتى اذا ادركوا وبلغوا الحالة التي يمكنهم معها

(١) عرامه بالضم بمعنى سورته اي شدته وحدته (٢) الدمور الدخول بدون استئذان

القيام بشؤونهم الادارية والسياسية خلوا بينهم وبين بلادهم وودعوهم وانصرفوا مأجورين لامأزورين . هكذا يزعمون ومما يقدمون عذرا بين يدي فعلتهم هذه قولهم اننا قد ارخينا الطول (١) لحكومات الشرق منذ نصف قرن واكثر وانتظرنا افاقة امرائهم من غفلتهم وانتعاشهم من عثرتهم وما زلنا في اطواء تلك المدة نتقدم اليهم بالوعظ تارة وبالانذار اخرى ونصح لهم بأن يصلحوا شأنهم ويرعووا عن غشمرتهم ويعرفوا لشعوبهم حقوقهم وهم عن ذلك معرضون وبالترف لاهون وبالترهات مفترون

هل المسئلة الشرقية تقتصر في تناولها على الشعوب الاسلامية أو يتعدى حكمها الى سائر الامم الاخرى ؟ انما وضعت تلك المسئلة في اول أمرها لاجل مقاومة الاسلامية ومساورة اهلها واسترجاع ماافتتحوه من الاقطار المسيحية والولايات الرومانية التي سقطت امامها وعنت لسلطانها فمن هذا تعلم ان حقيقة المسئلة الشرقية دينية لكنها مموهة الظاهر بالصبغة السياسية التي تقدم شرحها . ومن جراء ذلك لم يقتصروا في مدلول تلك الكلمة على الشعوب الاسلامية فقط بل تجاوزوا بها الى سائر الشعوب على اختلاف أديانهم وتماليهم . ومالي لاأتوخى في بحثي الصدق وأتحرى في حكمي الحق * ان فسيلة تلك المسئلة وان كانت زرعت حبتها الاصلية لاول عهدها في تربة التحمس الديني وسقيت بمياه الاحقاد الملية لكنها والحق يقال لم تستغلظ وتستو على ساقها الا في هذه الأزمنة المتأخرة وبين الامم الغربية حيث تعهدوها بالاسمدة السياسية وأتموا تشذيبها وعذق تربتها بمعاذق الاطماع والاغراض والاثرة الجنسية فبذلك اصبحت تلك الفسيلة

(١) الطول كعنب قياد الدابة يطال لها في المرعى لتتوصل الى الكلأ ويكنى به عن الامهال

شجرة عظيمة غليظة الساق ممتدة الفروع ضاربة الاغصان تظل باوراقها وغصونها بقاع آسيا وافريقيا وجزائرها وشبه جزيرة البلقان بما يسرح فيها من الشعوب المختلفة والامم المتباينة والقبائل المتنوعه لافرق تحتها بين دين ودين ولاتميز بين مذهب واخر

باب التربية والتعليم

(التربية النفسية)

من الناس من يرغب عن قراءة مايكتب في شؤون الاطفال احتقاراً له كما ان الاطفال محتقرين عندهم ولايلذ لهؤلاء الا الكلام عن الملوك والحكام وشؤون الدول والامم وهذا دليل على انهم اصحاب اهواء لانفع لقراءتهم فان الملوك والحكام كانوا اطفالاً وأحوالهم في كبرهم مبنية على تربيتهم في صغرهم والامم مؤلفة من الافراد الذين لم يوجد واحد منهم كبيراً قط . فتربية الاطفال هي المسئلة الاساسية في حياة الامة فمن لايكترث لها لايكترث للامة كلها معها ثرثر وتشدق في الكلام عنها

يرى المراقب للاطفال والولدان ان الكذب والشراسة والظلم والتعدي والاثرة والدناءة والشره ونحوها من الرذائل أغلب عليهم من الصدق واللطف والانصاف والرضى بالحق والمؤاثرة على النفس والشهامة والعفة وأشباهها من الفضائل ولهذا ذهب بعض علماء الاخلاق الى ان الانسان شرير بالطبع وانما يكتسب الخير بالتربية والتعلم وهذا باطل كمقابله وهو ان الانسان خير بالطبع ويطرأ عليه الشر من فساد التربية والتعليم والحق انه في اصل فطرته قابل للامرين على السواء وهناك مرجحات ترجح احدهما